الدرس الخامس

تطور الفكر السياسي اليوناني (2)

من السفسطائيين إلى أفلاطون وأرسطو

أ – الارضيه التاريخيه، الاجتماعيه والسياسيه لديموقراطيه أثينا.

يتعذر تقديم اسهام السفسطائيين، ومن بعدهم آراء أفلاطون وأرسطو السياسية، في تطور الفكر السياسي اليوناني، دون الحديث عن **ديموقراطية أثينا** ومستجدات آثارها، الايجابية والسلبية، في المجتمع الأثيني، واليوناني بشكل عام. ولكي نذرك طبيعة مستجدات نظام الحكم الديموقراطي في أثينا، ينبغي لنا، قبل ذلك، التذكير بنوعي انظمة الحكم، التي عرفها اليونانيون قبل نظام الحكم الديموقراطي الآثيني[1].

ولذلك يحسن بنا تخصيص درسين **تمهيدين**، نعرض على ضوئهما بعد ذلك، **أفكار** أهم ثلاث مدارس في الفكر السياسي اليوناني؛ نعني بذلك أفكار **السفسطائين** السياسية ومبادئهم الفلسفة، وأفكار كل من **أفلاطون** و **أرسطو** السياسية وخلفياتها الفلسفية ايضا.

يشفع لنا في ذلك أمران:

---

(1) هذه الخصوصية جعلتني اعرض لكم، بشيء من التفصيل، اهم مراحل التاريخي اليوناني السياسي والحضاري. **المتمثلة** في المرحلة **الكلاسيكية** من تاريخ اليونان 800/1200 ق م. **مسبوقة** بالمرحلة القديمة (مرحلة دولة موكيناي وحضارتها – 1200/1600 ق م)، متبوعة بالمرحلة **الديموقراطية** الممتدة حوالي قرنين، بين 400/600 ق م تقريبا. والفترة الممهدة لها، المعروفة بفترة **الاصلاح** أو عصر الاصلاح (عصر **سولون** أو الحكماء السبع) الممتدة بين 800/ 600 قم.

أولاهمـا: تفـادي تقـديم **أفكـار ونظريـات** سياسـية للطلبـة **مجـردة عـن تاريخيتهـا**، ممـا يجعلهـا تـدرك لـديهم **أفكـارا صـماء،** مـن اختـراع عقـول منظريهـا، أي محـض منافسـة **عقليـة** بـين المفكـرين منزوعـة عـن **أغراضـها العمليـة**، وعـن **تأثرهـا** فـي حركة التاريخ الاجتماعي والسياسي **وتأثرها** هي نفسها بها.

ثانيهمـا: التأكيـد علـى ان **الديموقراطيـة الآثينيـة**، التـي شـكلت **الأرض الخصـبة** التـي تبلـور فـي ظلهـا **الفكـر الفلسـفي والسياسـي** اليونـاني، طيلـة قـرنين مـن الـزمن (400/600 ق م)، لـم تـأت مـن **فـراغ سياسـي**، بـل كانـت نتيجـة مسـار تطـور سياسـي طويـل، أفرزتـه حقـب تاريخيـة متعاقبـة، متواصـلة التـأثير في بعضها، **استمرارا وقطيعة.**

لـذلك رأينـا تخصـيص درسـين لهـاذ الغـرض؛ درسـنا هـذا، وقـد افردنـاه **للحيـاة السياسـية فـي العصـرين السـابقين للعصـر الكلاسـيكي** اليونـاني، أي عصـر ظهـور "**دولـة المدينـة**"؛ والـدرس الثـاني القـادم سـوف نتطـرق فيـه إلـى **خصـائص الديموقراطيـة الآثينيـة**، وإسـهامها فـي بلـورة الفكـر السياسـي اليونـاني، فـي العصر الكلاسيكي؛ أي، فكر السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو.

يؤكـد مؤرخـو الفكـر السياسـي اليونـاني، أن فهـم التجربـة السياسـية اليونانيـة فـي هـذه المرحلـة، مرهـون بتوضـيح تطـور المجتمعـات اليونانيـة فيهـا، علـى نحـو يختلـف عـن كثيـر مـن المجتمعـات الأخـرى؛ أي بتوضـيح خصوصـية تطـور المجتمعـات اليونانيـة فـي المرحلـة الكلاسـيكية مـن التـاريخ اليونـاني. وهـي الخصوصـية التـي ارتبطـت بمـا عـرف بـ "دولـة - المدينـة"، التـي سـماها اليونـانيون "Polis". وهـو نظـام سياسـي **لـم تظهـر معالمـه** فـي الفتـرة مـا قبـل العصـر الكلاسـيكي، ولـم يسـتمر أيضـا في العصور اللاحقة بعده.

ففي المراحل المبكرة، وهي مراحل عصر "**حضارة موكيناي** - Mycenae أو موسيناي - "[1] الممتد فيما بين 1600 – 1200 ق م، لا يملك المؤرخون عنها من المعلومات، سوى معلومات قليلة نسبيا وجزئية؛ تتمثل في الآثار المادية ونحو ستمائة وثيقة مكتوبة، معاصرة لتلك المراحل؛ متبقية في قصر مدينة"**بيلوس** – pylos"[2]. إضافة إلى الملحمتين الشهيرتين الإلياذة والأوديسه، المتضمنتان لأهم المعلومات المكتوبة؛ المتبقية عن أقدم مراحل التاريخ اليوناني، وعن فكرها السياسي.

فالصورة العامة التي أمكن جلاؤها من هذه المصادر، تشير إلى انه قد ساد اليونان في تلك المراحل **عدد من الممالك المستقلة نسبيا**، إذ كانت جميعها **مرتبطة بنوع من التبعية** لدولة "**موكناى** Mycenae" والولاء لها، بحكم تفوقها على سائر تلك الممالك وزعامتها عليها. وكانت كل مملكة من هذه الممالك يتمركزها قصر محصن؛ هو مقر الاسرة المالكة وحاشيتها. ومن أهم هذه القصور الملكية، ما عثر عليه في إقليم **موكناى** ذاتها، إضافة إلى قصور **بلوس** Pylos و**تيرنس** Tiryns و**إسبرطة** Spart و**آثينا** Athenes و**طيبه** Thèbes و**كنوسوس** Knossos في جزيرة كريت.

ويبدو من خلال هذه المصادر، أن الطبقة الحاكمة في هذه الممالك، عاشت **في رخاء بلغ حد البذخ**؛ بفضل ما حققوه من **ثروة فاضت** بها تجارة عالمية، أقاموها مع كل من **مصر وسورية وفلسطين وآسيا الصغرى وقبرص**. ويذكر المؤرخون أيضا، ومن خلال وثائق الكتابة الخطية الثانية، أن الأسر المالكة تحكَّمت، في رعاياها في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ اليونان، من خلال تنظيم إداري محكم.

---

(1) هي أقدم حضارة عرفها اليونانيون، ومركزها مدينة "**موكيناي**"، التي أُنشأت حوالي 1700 ق م، بإقليم "**أرغوليس** – Argolis" .

(2) مدينة يونانية قديمة تابعة لإقليم مدينة "موكيناي"ن وقد عرفت ايضا باسم "**نافارين** – Navarin".

ولكـــن، نظـــام هـــذه الممالـــك، ورخـــاء أســـرها الحاكمـــة وفاعليـــة نظـــام حكمهـــا الإداري، بلـــغ نهايتـــه، بعـــد حـــوالي اربعـــة قـــرون مـــن السـيادة. إذ **لـم يكـد القـرن الثـاني عشـر قبـل المـيلاد يبـدأ**، حتـــى تتابعـــت **أحـــداث مهولـــة** – يتعـــذر علينـــا تتبـــع مراحلهـــا المختلفـــة والتأكـــد مـــن تفاصـــيل أحـــداثها ومعالمهـــا بدقـــة – **وضـــعت حـــدا لجميـــع هـــذه الممالـــك، ولعصـــر موكينـــاي نفســـه ولمعالمـــه الحضـــارية .** أهـــم هـــذه الاحـــداث، كمـــا تـــدَوِّن المصـــادر الأسطورية، هي:

أولا: حـــروب "**طـــروادة** الـــدَّروس (Guerre de Troie)، التـــي خاضـــتها شـــعوب **موكينـــاي** اليونانيـــة ضـــد **دولـــة طـــروادة** وحلفائهـــا فـــي آســـيا الصـــغرى؛ وهـــي الحـــرب التـــي خلـــدها الشـــاعر هـــوميروس، كمـــا ذكرنـــا، فـــي ملحمتـــه الشـــهيرة "الإليـــاذة". **فـــرغم انتصـــار** اليونـــانيين فـــي هـــذه الحـــرب الطويلـــة (عشـــر ســـنوات كمـــا تـــذكر الاســـطورة)، إلا أنهـــا **أنهكـــتهم وشـــتتت وحـــدتهم،** التـــي عرفوهـــا تحت سيادة دولة **موكيناي** وزعامتها.

ثانيـــا: ككـــل حـــرب طويلـــة مـــدمرة، تكـــون **عواقبهـــا وخيمـــة** دائمـــا، أعقـــب حـــرب طـــروادة **اضـــرابات وهجـــرات بشـــرية** شـــملت جميـــع مراكـــز الحضـــارة فـــي شـــرق البحـــر المتوســـط، فـــي اليونـــان وآســـيا الصـــغرى وســـورية وفلســـطين ومصـــر. أمـــا فـــي اليونـــان، موضـــوع هـــذا الـــدرس، فقـــد اجتاحتهـــا موجـــات ضـــخمة مـــن الغـــزاة، شـــكلتها القبائـــل الدوريـــة **المتبربـــرة (Barbares** Invasions)، التـــي جـــاءت علـــى دفعـــات متتابعـــة، علـــى مـــدى قـــرنين مـــن الـــزمن تقريبـــا، وكـــانوا مـــن القـــوة والقســـوة بحيـــث قضـــوا تمامـــا علـــى أكثـــر الســـكان الســـابقين؛ مـــن **قُتـــل** ومـــنهم مـــن لاذ بـــالفرار و**الهجـــرة**، أو تحـــول إلـــى **الـــرق** (عبيد) عند الأسياد الجدد.

ثالثـــا: فـــي ظـــل هـــذه المرحلـــة الجديـــدة مـــن تـــاريخ اليونـــان؛ مرحلـــة الغـــزاة الجـــدد والهجـــرات الداخليـــة، **ســـادت الأميـــة**، حتـــى صـــار مـــن المـــألوف، بـــل مـــن الطبيعـــي أن يســـمي المؤرخـــون فتـــرة القـــرون الاربعـــة، الممتـــدة فيمـــا بـــين 800/1200 ق م ، **بعصـــور الظـــلام** فـــي تـــاريخ اليونـــان. وبســـبب اختفـــاء الكتابـــة فـــي هـــذه المرحلـــة، صـــار

يكـاد يكـون مـن المتعـذر معرفـة تـاريخ دقيـق بمعنـى الكلمـة لهـا؛ سـوى مـا يسـتمد مـن انطباعـات عامـة وغيـر دقيقـة، مـن أشـعار هوميروس[1].

ومـع ذلـك، فقـد سـمحت الأشـعار الهومريـة للمـؤرخين، مـن اسـتجلاء **صـورة عامـة** لإحـدى مراحـل التطـور، منـذ سـقوط عصـر **موكينـاي**. حـوالي 1200 ق م. وهـي مرحلـة نهايـة عصـر الظـلام الممهـدة لعصـر اليونـان الجديـد؛ **عصـر الإصـلاح**، الـذي سـبق ذكـره، بدايـة القـرن الثـامن (800 ق م)، انطلاقـا مـن مدينـة ديلفـي. صـورة عامـة تصـف مجتمعـا **ملكيـا** أقـل وضـوحا ونضـجا، مـن ذلـك التنظـيم الاجتمـاعي والسياسـي السـابق، الـذي كشـفت عنـه والوثـائق **المخطوطـة** الثانيـة (**Linear B**). ولكـن يمكـن القـول: إنهـا **ملكيـة ضـعيفة غيـر محكمـة الاركـان** بعـد، ملكيـة مشـرفة علـى تحـوّل إلـى سـيادة **أسَـرٍ ارسـتقراطية**، سـمي نظـام حكمهـا الجديـد بهـا. **فالانقسـام الطبقـي**، الـذي حصـل فـي ظـل سـيادتها، إلـى **حكـام ورعيـة**، أو أشـراف وعامـة، إنقسـام واضـح المعـالم فيهـا كـل الوضـوح؛ وتشـمل الإليـاذة أكثـر مـن شـاهد يمثـل ذلـك الانقسـام الطبقي[2].

ولكـن، لـيس مـا يهمنـا، فـي سـياق درسـنا هـذا، هـو هـذا الانقسـام الطبقـي كتفـاوت اجتمـاعي فـي حـد ذاتـه، وإنمـا **آثـاره السياسـية**. فهـو، إن كـان يعبّـر عـن الوضـع الاجتمـاعي، فـي فتـرة التحـول مـن **الملكيـة** إلـى حكـم الأشـراف أو **الارسـتقراطيين** (أي، نظـام الحكـم الارسـتقراطي)، ويصـوره بموضـوعية، فـإن الانطبـاع الـذي تكـوّن لـدى هـوميروس، هـو شـدة **الاحسـاس بالانتمـاء الطبقـي** الـذي لاحظـه عنـد النـاس (**أي، الـوعي بـه**).

---

(1) يسـجل المؤرخـون ذلـك بشـيء مـن المفارقـة الغريبـة. حيـث تركـت لنـا هـذه المرحلـة الأخيـرة مـن عصـر الظـلام اليونـاني تـام **الأميـة** شـامل الاضـطراب، واحـدة مـن اروع الاعمـال الادبيـة ابـداعا فـي التـراث الادبـي الانسـاني (الإليـاذة)، حيـث ظهـر هـذا العمـل الادبـي الفريد في آخر مراحل ذلك العصر نهاية القرن **التاسع** 900 ق م .

(2) للوقـوف علـى أحـد هـذه الشـواهد، يراجـع: مصـطفى العبـادي، ديموقراطيـة الآثينيـين. مجلة عالم المعرفة. العدد الثاني، اكتبر 1973.

فالارستقراطي الشريف **شاعر بغناه واع بمكانته** الاجتماعية المتميزة، والفقير **حاسٌ بفقره** ايضا دارك لوضعه. وهذا الاحساس بالانقسام الطبقي سوف يستمر وجوده **ويزداد تأثره** في الحياة السياسية ومسار حركتها في اليونان، **بعد زوال عصر الظلام.** كما جاء في الإلياذة **ذكرٌ لنوع من التنظيم** السياسي البسيط ساد العصر الملكي، تمثل في "**مجلس شورى**"، مكون من **كبار الأشراف** (Boulè)[1]، ومن **اجتماع العامة**. إلا أنه شكل، رغم بساطته ومحدوديته، **نواة** لتطور سياسي في النظم السياسية اللاحقة، التي ستعرف بها **دولة المدينة** بعد ذلك؛ أي في **العصر الكلاسيكي**، الذي ننتقل الآن إلى التذكير، باختصار شديد، بأهم معالمه ومحطاته. وذلك تمهيدا لتحديد شروط **ظهور النظام الديموقراطي** في **آثينا** وفهم أسبابه، وتأثير كل ذلك في بلورة الفكر السياسي عند **السوفسطائين وافلاطون**.

خصائص العصر الكلاسيكي التاريخية والسياسية:

بظهور القرن الثامن قبل الميلاد، بدأت رؤية تاريخية جديدة تبرز في أفق اليونان الفلسفي والسياسي؛ حيث نجد أن خريطة بلاد اليونان السياسية قد تغيرت تغيرا كبيرا، عما كانت عليه في

---

(1) مصطلح سياسي يوناني استخدم في معظم الحقب السياسية، في اليونان، ولكن بدلالات مختلفة نسبيا، حسب كل مرحلة سياسية. إلا أنه، في كل الأحوال، يشير إلى مجلس ضيق أو مصغر مكون من أشراف ومن مواطنين، مكلفين بقوانين المدينة. وأول هيئة (او مجلس - Boulè) تم تشكيلها كان مجلس **آثينا**، المُنشأ من طرف سولون، سنة 594 ق م، عقب اصلاحاته الزراعية المعروفة. والمكون من 400 رجل، كل طبقة يمثلها فيه 100 عضو؛ طبقة **الأغنياء الكبار** (pentacosiomédimnes)، وهم المنتجون لما يضاهي 500 **ميديمن** - **Médimne** على الاقل (les censitaires).و(الـ Médimne هي وحدة قياس ووزن للمنتوجات الزراعية، الجافة والسائلة)؛ ثم طبقة **الفرسان** (les Chevaliers)ن وهي الطبقة التي تضم من يملكون أرضا او عملا يتراوح منتوجه بين 500 و 300 ميديمن؛ فطبقة **الزوجيت** – (Les Zeugites) ويشكلون الطبقة الثالثة، التي ينتج أصحابها أقل من 300 ميديمن وأكثر من 200 منه؛ وخيرا طبقة **الثاتسيين** (Les Thètes) وهم من منتجه السنوي عن 200 ميديمن.

عصر الظلام الفكري الذي ساد اليونان لعدة اربعة قرون كاملة (900//1200 ق م) كما ذكرنا

فقد **زال النظام الملكي** من معظم بلاد اليونان وحلت مكانه مجتمعات سادت عليها مجموعة من الأسر **الارستقراطية** ذات الشرف والنسب العريق. كانت هي نفسها غير مستقرة بعد وفضلا عن ذلك **زاد عدد الكيانات او الوحدات السياسية** المستقلة. أكثر من أي وقت مضى. وهذا النظام الجديد الذي ساد في اليونان القائم على كثرة الكيانات السياسية المستقلة. هو نظام "**دولة المدينة**" (Polis). التي اشتهرت بها اليونان في عصرها الكلاسيكي. فيما بين القرن الثامن ونهاية القرن الرابع ق م.

ويرى المؤرخون ان **انعدام الأمن** الذي احدثته الغزوات الدورية على بلاد اليونان. ربما كان وراء إحداث هذا **التشتت** الكبير بين اليونانيين. وانقسامهم الى **كيانات سياسية مستقلة** بعضها عن بعض. وذلك بعد ان أصبح **أمن كل مجتمع**: مهما صغر حجمه. أمنا منفردا عن أمن الآخرين. و**شغل سكان** هذا المجتمع أو ذاك **وجدهم**: في ظروف عصر سلطة مركزية ترعى **أمن الجميع** عند الضرورة. في كل مكان من اليونان. أما **العامل الجغرافي**[1] فكان له دوره أيضا في هذا التشتت. أو على الأقل في تعزيز ذلك **والإسهام في تكريسه**.

وبصرف النظر عن أي العاملين. كان له الدور الحاسم في ذلك. فإن هذا الانقسام سرعان ما ندعم و ترسخت قواعده في نظام "**دولة المدينة**". في عصر اليونان الكلاسيكي: حيث **طبع الفكر السياسي** اليوناني بطابعه. **واعتقدوا**. مع مرور الزمن. بأنه **بنظامهم الطبيعي**. وأنه يمثل أرقى نموذج **للمجتمع الإنساني المتحضر** (أي. نظام عالمي بمفهوم ذلك الوقت للعالم). وأكبر دليل على ذلك هو أن اليونانيين لما هاجروا.

---

[1] المقصود بذلك الطبيعة الجغرافية الصعبة لليونان. والمكونة أساسا من مناطق جبلية وحرر. وسهول ساحلية ضيقة. مما جعل سدها ومجموعاتها السكانية معزولة بعضها عن بعض بشكل كبير

وانتشـروا علـى شـواطئ البحـرين الابـيض والأسـود، نقلـوا معهـم **نظـام** "دولـة المدينـة" إلـى بيئـات جغرافيـة مختلفـة **لـم تفـرض طبعتهـا** الانقسـام علـى أهلهـا ولـم يعرفـوه. وحـين كتـب كبـار فلاسـفة اليونـان ومفكـريهم؛ أمثـال أفلاطـون وأرسـطو، خـلال القـرن الرابـع قبـل المـيلاد، فـي الفكـر السياسـي وأفضـل نظمـه المأمولـة، تنـاولوه مـن منظـور **الدويلـة اليونانيـة** وفـي إطارهـا؛ أي فـي إطـار نمـوذج "**دولـة المدينـة** –"، ولـم يتجـاوزوا ذلـك **النمـوذج** مـن التفكير السياسي لنظام دولة المدينة، بأي حال من الأحوال.

سـبق وذكرنـا أن عصـر الظـلام اليونـاني، عـرف فـي فتـرة منـه نوعـا مـن **الحكـم الملكـي**، سـرعان مـا **تحـول**؛ تحـت تـأثير تطـورات اقتصـادية وسياسـية غيـر معروفـة بالتفصـيل، نظـرا لقلـة الوثـائق الخاصـة بتلـك الفتـرة، تحـول **إلـى حكـم الارسـتقراطية**. ولكـن، مـع ذلـك فـإن الانطبـاع السـائد عنـد المـؤرخين حتـى الآن، هـو أن هـذا **التحـول** لـم يكـن مقرونـا بـأي مظهـر مـن **مظـاهر العنـف** الاجتمـاعي أو السياسـي. ففـي **مدينـة آثينـا**، موضـوع درسـنا هـذا، يبـدو ان **صـلاحيات الملـك** انتقلـت تـدريجيا وعلـى مراحـل، إلـى **أربـاب المناصـب** السياسـية الجديـة مـن **الارسـتقراطية**. وليس أدل علـى هـذا الانتقـال السـلمي المتـدرج للحكـم فـي آثينـا؛ وفـي غيرهـا مـن بعـض المـدن اليونانيـة الأخـرى، مـن **اسـتمرار** إطـلاق لقـب (**ملـك** - Basileús) علـى أحـد المناصـب الرئيسـية **المنتخبـة**[1] فـي آثينـا، وفـي غيرهـا مـن المـدن اليونانيـة، بعـد سقوط الملكية نهائيا.

وقـد أفسـح هـذا التحـول السـلمي لنظـام الحكـم فـي اليونـان، لمزيـد مـن **الأسـر المغـامرة النشـطة**، التـي حققـت إلـى جانـب الأرسـتقراطيين ثـروات كثيـرة. وقـد سـئمت هـذه **الطبقـة الجديـدة**

---

[1] هـذا يعنـي أن لقـب **ملـك** صـار يطلـق علـى شـخص لـيس **ملكـا** بـالمعنى المتعـارف عليـه للكلمـة، بـل علـى شـخص **منتخـب**؛ أي **غيـر وارث للملـك** كمـا كـان معهـودا. بمعنـى ان الحكـم لـم يعـد وراثيـا فـي آثينـا والمـدن الأخـرى، فـي وقـت مبكـر مـن بدايـة العصـر الكلاسـيكي الجديـد فـي اليونـان. ولـذلك فقـد اختـص هـذا المنصـب الجديـد المُلقـب بالملـك بمهـام شـرفية دينيـة أساسـا، ولـيس بمهـام سياسـية، وتحديـدا بالاشـراف علـى طقـوس التضـحيات المقدسـة وغيرهـا مـن الواجبـات الكهنوتيـة، ذات التـاريخ الموغـل فـي القدم.

من الأثرياء أن تظل **محرومة من مناصب الحكم**، بسبب عدم تمتعها بشرط الانتساب إلى **الأسر الشريفة** العريقة. ولذلك فإن هذا الوضع، غير المريح سياسيا لهذه الطبقة الجديدة من الأثرياء، ما كان له أن يستمر طويلا. بل سرعان ما بدأت المدن اليونانية تعاني مرة ثانية من سلسلة من الأزمات على مدى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

ففي القرن الثامن ق م، حدث **تلاحم** بين الارستقراطية القديمة وفئة هؤلاء الاثرياء الجدد وأسرها. وهكذا أصبحت معظم المدن اليونانية **تحكمها** طبقة جديدة، **تتميز بالثراء بصرف النظر عن شرط النسب الشريف**، أطلق على حكمها، اصطلاحا، "**أولیغارشیا** – Oligarchie"[1]. وقد حرصت هذه الطبقة الجديدة على تعميم سيطرتها على المجتمع وتعميقها، بزيادة ملكيتها **للأرض**، التي كانت لا تزال **مقياس الثروة الحقيقي.** الأمر الذي أدى إلى خلق تزاحم شديد على ملكية الأرض، مما ألحق ضررا كبيرا بصغار ملاك الارض، الذين وجدوا انفسهم فاقدين لأرضهم.

وهكذا، توفَّرت أسباب الأزمة واجتمعت؛ فبالإضافة إلى الزيادة الكبيرة في عدد السكان[2]، وخاصة الفقراء، ازدادت **حدّة الانقسام الطبقي** بين الأغنياء والفقراء. ولم تجد **الأقلية الحاكمة** حلا محليا لهذه الأزمة، فلجأت إلى الاقدام على **تهجير الأعداد الزائدة** من السكان، و إنشاء **مستوطنات خارجية** انتشرت على سواحل البحرين **المتوسط والأسود**. وبعملية التهجير هذه، وتوطين المهجرين في المستعمرات الجديدة وجدت الأوليغارشيون **حلاّ خارجيا**، لمشكلة ملكية

---

(1) كلمة يونانية الأصل، وتعني حكم الأقلية. (Oligarkhia) باليونانية. مشتقة تركيبيا من كلمتين يونانيتين، **اوليغوس** (olígos) وتعني **صغير**، أو **قليل العدد**؛ و **أرخو** (árkhô) وتعني **قادَ** أو **يَقودُ** (Commander).

(2) يربط المؤرخون هذه الزيادة الكبيرة في السكان، بعامل الاستقرار النسبي، الذي عرفته اليونان في تلك المرحلة، بعد خروجها من حرب طروادة. إضافة طبعا إلى نسبة الزيادة الطبيعية في الانتاج الزراعي.

الارض للفقـراء، سـواء مـنهم الـذين خسـروا أرضـهم، فـي عمليـة المضـاربة، التـي اشـرنا اليهـا فـي درس سـابق، مـع كبـار المـلاك، أو الـذين لـم يملكـوا أرضـا أصـلا. وذلـك بتوفيرهـا لهـم **أرضـا** فـي مستوطناتها الجديدة.

كمـا عـاد هـذا الحـل **بـالنفع أيضـا** علـى هـذه **الأولبغارشـية** الجديـدة نفسـها، وكـذا الطبقـة الوسـطى. وذلـك مـن خـلال زيـادة نشـاطها الزراعـي و**تطويرهـا علاقـات تجاريـة** مربحـة مـع دول شـرق المتوسـط، عبـر هـذه المسـتوطنات الجديـدة. وكـان مـن أهـم نتـائج كـل ذلـك أن **تفـوق اليونـانيون** علـى منافسـيهم **الفنيقـيين** (Les Phéniciens)، فـي السـيطرة علـى تجـارة شـرق البحـر المتوسـط. وقـد صـاحب هـذا التفـوق اليونـاني فـي التجـارة العالميـة، آنـذاك، اختـراع وسـيلة جديـدة للمعـاملات التجاريـة، وهـي **اختراعها للعملة**[1]، في القرن السابع قبل الميلاد.

ونظـرا لأن مسـاحة الارض الزراعيـة **محـدودة** فـي اليونـان، صـارت عمليـة تكـوين **الثـروة النقديـة**، مضـمونة القيمـة، حسـب إمكانيـات الأفراد، أسـهل من الحصول على الأرض[2].

ولكـن، هـذه التطـورات ماكـان لهـا إلا أن تـؤدي إلـى **منافسـة** أخـرى علـى **الثـروة النقديـة، أشـد** مـن المنافسـة علـى ملكيـة الأرض، فاجتمعـت بـذلك آثـار التنـافس علـى الثـروتين، **ثـروة الارض والنقـد معـا**؛ انعكسـت آخـر الأمـر فـي إحـداث **سلسـلة اضـطرابات سياسـية** طـال أمـدها القـرنين السـابع والسـادس

---

(1) كـان لسـرعة انتشـار اسـتخدام العملـة وسـيلة جديـدة للمعـاملات التجاريـة ردود فعـل بالغـة الاهميـة والخطـورة علـى الاوضـاع الداخليـة فـي المـدن اليونانيـة. إذ لأول مـرة ينشـأ **مقـوِّم جديـد** فـي الحيـاة الاقتصـادية، وهـو مـا أصـبح يعـرف بـ "**رأس المـال** – Le Capital"، حيـث أصـبح معـدنا **الـذهب والفضـة** يكونـان بـذاتهما **ثـروة محـددة القيمـة**، ولـذلك صـار، لاول مرة ايضا، راس المال النقدي يمثل **ثروة تُنافس ملكية الارض** وثروتها.

(2) لعـل أبلـغ شـاهد علـى الاهميـة التـي اكتسـبها رأس المـال النقـدي عنـد النـاس، هـو قـول الشـاعر الأيـوني (نسـبة إلـى مقاطعـة ايونيـا - Ionie) **بشرمـوس** (Pythermos) "**لـم يعـد هنـاك مـا يشـغل النـاس، سـوى المال**". وهو شاهد من ساحل أيونيا.

قبل الميلاد كاملين. فقد حرص **أثرياء الثروة النقدية الحدد** على أمرين: تحويل أموالهم إلى **ملكية أرض** من جهة، والحرص على المشاركة في الحياة السياسية، **وتولي مناصب الدولة المهمة** من جهة أخرى. الأمر الذي أدى إلى **ارتفاع أسعار الأرض**، الذي أثر بدوره في **ارتفاع أسعار السلع الاخرى الضرورية للحياة**. بحيث **أضرَّ** هذا الوضع الاقتصادي الطارئ **بصغار الملاك والمستأجرين** من المزارعين ضررا كبيرا، فتورط اغلبهم في **الدبون بضمان الأرض**، لمن كان يملك أرضا؛ أو **بضمان أشخاصهم** إذا كانوا مستأجرين للأرض، حسب التقاليد والأعراف السائدة. وبموازاة ذلك ظهر عنصر اضراب آخر في المدن اليونانية الكبرى، تمثل في تغير **التركيبة البشرية** للجيوش فيها، حيث أصبحت متكونة في معظم تخصصاتها من **فئات اجتماعية متوسطة**، بعد أن كانت **حكرا على الأثرياء** تقريبا. وبسبب زيادة أهمية ابناء هذه الفئات المتوسطة العسكرية، في جيوش هذه المدن، طالبوا بزيادة نصيبهم في الحياة السياسية؛ ووجدوا فرصتهم في الوقوف إلى جانب الفقراء، في صراعهم ضد النبلاء والأثرياء الجدد.

وهكذا، توفرت **ظروف أزمة** حادة، طالت مدن يونانية كثيرة، وبصفة خاصة **المدن التجارية** الكبرى؛ أزمة قادت، في شروط متفاوتة الشدة وفي أوقات غير متزامنة، إلى **ثورات سياسية** في كثير من المدن اليونانية المعروفة آنذاك. ولكنها ثورات رغم عدم تماثل أحداثها وتطابق أوقاتها، لم يقتصر هدفها في تغيير أشخاص الحكام، بل تعدى مطلبها جميعا إلى **تغير القوانين ونظام الحكم السائد**. ولذلك انتهت هذه الثورات إلى القبول بنظام سياسي، لم يعمر طويلا، هو نظام **حكم الفرد الواحد**، الذي يتزعم الثورة، بديلا عن **حكم الأوليغارشيا** القائم. وهو النظام السياسي الذي اصطلح عليه باسم "**ثيرانوس** – Tyrannos أو Tyrant"؛ أي في العربية (**طاغية**).

ومع أن هذا النظام لم يدم طويلا، إلا أن الطاغية كان يحقق **آمال الفئات الغاضبة**، في المراحل الأولى لحكمه، وذلك

بإصدار **محموعة من القرارات الإصلاحية**، التي تنصف الفقراء؛ من أهمها مصادرة مساحات من أراضي الحكام السابقين وتوزيعها بين الفقراء. ولكن، هذه **القرارات الإصلاحية** لم تكن مجرد قرارات عرجاء مرتجلة من الطغاة، لمعالجة أزمة اقتصادية عصفت باستقرار المدن اليونانية، إنما هي تعبير مبكّر نسبيا، عن عمق جذور هذه الأزمة؛ أي انها أزمة اقتصادية – سياسية تتطلب إصلاحات جذرية.

وفعلا، فمع بداية القرن السادس قبل الميلاد، كانت الأزمة قد بلغت ذروتها، حسب تشخيص أرسطو لأسبابها في **آثنا؛** حيث ثقال: "كانت الديون بضمان تقترض بضمان شخص المدين، والأرض في أيد قليلة، والأكثرية رقيق للأقلية؛ فثار عامة الشعب ضد الطبقة العليا، واقترن الصراع بالعنف، واستمرت المواجهة بين كلا الحزبين (يقصد حزبي الفقراء والأغنياء) وقتا طويلا، إلى أن توصلا إلى اتفاق بينهما إلى اختيار "**سولون**" حكما وحاكما وعهدوا إليه بأمر الدولة عام 593/594 ق م.".

هذا هو الوضع الذي كلف **سولون** بمواجهته ومعالجة أسبابه، بتشريعات إصلاحية جديدة مناسبة. ويبدو أن سولون كان مؤهلا لهذه المسؤولية، حسب أرسطو أيضا. من حيث خبرته و من حيث وضعه في المجتمع كذلك. فقد وصفه أرسطو في عبارة شهيرة قائلا: "بأن سولون كان، من حيث النسب والمكانة، من أرقى رجال المجتمع، ولكن من حيث الثروة ومجال العمل من الطبقة الوسطى".

ولعل انتساب سولون إلى **الطبقة الوسطى**، هو جعل يبني تشريعاته في آثينا على **مبدأ الاعتدال**، كما ذكرنا، والبحث عن الحل الوسط بين كبار ملاك الأرض والثروة وصغارهم. ولكن هذه المسألة تخرج عن نطاق درسنا هذا.

وختاما، يمكننا القول: إنه إذا كانت تشريعات سولون وإصلاحه قد طال تأثيره في الحياة السياسية اليونانية كثيرا، فإن نظام حكم الطغاة الذي طاله، لم يعمر طويلا، كما ذكرنا؛ فقد فشلوا

في محاولة توريث الحكم **والعودة الى النظام الملكي**. ففي القرن السادس قبل الميلاد؛ أي حوالي قرن من الزمن فقط من بداية موجة حكم الطغاة، انتهت فترة حكم هذا النظام في معظم المدن اليونانية.

لكن نهاية هذا النظام السياسي وضعت اليونانيين أما سبيلين ينبغي لهم سلكه: سبيل العودة إلى **حكم الأقلية** Oligarchie، الذي تزعمته **إسبرطة** – Sparte، وسبيل حكم الأكثرية؛ أي سبيل **الديموقراطية** - Démocratie، الذي ترعمته **أثينا** – Athènes، موضوع درسنا القادم.

....يتبع الدرس القادم

تبلور الفكر السياسي اليوناني (3)

من السفسطائيين إلى أفلاطون وأرسطو

الديموقراطية الآثينية

....تابع

الدرس الرابع

تبلور الفكر السياسي اليوناني (1)

من سولون إلى الفيثاغوريين

نستأنف درسنا هذا، حول مبدأ العدالة ومفهومها عند سولون، وكذلك عند الفيثاغوريين، وذلك تمهيدا لآراء السوفسطائيين فيها، إضافة إلى رؤية أفلاطون الناقدة لأفكارهم السياسية والمناقضة لفلسفتها؛ وذلك ليس من أجل اقامة مقارنة مجردة صماء بينهم[1]، **بل من اجل رصد تطور الأفكار السياسية عند اليونانين وتحول غاياتها**، وفق مبدأ القطيعة والاستمرار التاريخي للأفكار وتطورها.

- وأول ملاحظة يمكن تسجيلها، في هذا الخصوص، هي أن تواصل الافكار، **عبر مبادئها**، ظل قائما في اليونان القديمة ومتواصلا لقرون عديدة، كما سنرى، باعتبارها مبادئ تعكس حاجات الانسان الطبيعية ومطالبه التاريخية؛ **كمبدأ العدل والحق والمساواة والحرية**...الخ[2]، وكذالك **شروط** لاجتماع الانساني و ضروراته، **كالأمن الفردي والسلم الجماعي والتعاون الاجتماعي....**وغيرها من دواعي انتظام المجتمع واستقراره. فهذه **الشروط** تعكس حاجة الانسان **الطبيعية** للاجتماع الانساني. ولكن بروز **حاجة الانسان** الى مبادئ هذا الاجتماع الانساني (كمبدأ العدل والحق والحرية ..الخ) تفرضها

---

(1) مثل هذه المقارنة غير موضوعية وغير تاريخية. لأنها تعقد بين مطالب مرحلتين سياسيتين مختلفتين، مرحلة ما قبل الديموقراطية الآثينية، ومرحلة سيادة نظام الحكم الديموقراطي في أثينا، ما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد.

(2) فمطلب الحرية السياسية الفردية مثلا، لم يكن من أولويات المواطن اليوناني الحرّ، قياسا بمطلب العدالة الفئوية والطبقية، حتى في عز الديموقراطية الآثينية؛ عدا الأولوية التي اعطتها الحركة السوفسطائية لحرية المواطن الفرد في أداء دوره في الدولة وممارسة حقوقه فيها.

الصـــورة التاريخيـــة. وليس الطبيعيـــة، أي حاجـــة الانســـان التاريخيـــة الهـا. **وبـرور هـذه الحاجـة التاريخيـة هـو نفسـه والـذ يـوفر ظروفـه الموضـوعية فـي المجموعـات البشـرية عبـر مراحل التاريخ الانسانى.**

وبـذلك فـإن **جـذور هـذه الحاجـة** و مـدى نطاعـات الانسـان الـى **مبادئهـا** هـو نفسـه مـن منطلـق **تطـور المجتمـع التاريخيـة**. **وتطور وعى الانسان** هو نفسه بحاجته اليها.

وبهـذا فـإن **أصـالة** عمـل سـولون الإصـلاحى، قـد تمثلـت فـي **الاضـافة التـي قـدمها لمفهـوم العدالـة** والمسـاواة. فقـد تجـاوز رؤيتـه لهـا رؤيـة الشـاعران هـوميروس وهسـيودوس؛ فقـد حـاءت إضـافته اسـتجابه لحاجـة المجتمـع اليهـا، فـي الظـرف التـاريخى الـذى فرضـته الأزمـة الاقتصـاديه، التـي عصـفت باسـتقرار مقاطعـة "**إتيكـا**- Attique" ومـدينها (كـدلفى وأثينـا بشـكل خـاص). كما ذكرنا في درسنا الماضى.

الأمـر الـذى جعلـه يضـع تصـورا أوسـع وأعمـق لفكـرة العدالـة، يسـتجيب لمتطلبـات معالجـة تلـك الأزمـة وتجـاوز أسـبابها؛ تصـور يمثـل هدفـه، كمـا يقـر هـو فـي اشـعاره الممهـدة لعملـه التشـريعى، فـي **وضـع قاعـدة عامـة للمسـاواة** المتوازنـة، بتعـذر بمقتضـاها علـى أيـة **طبقـة مـن النـاس، إدعاؤهـا حـق التفـوق الاجتمـاعى** علـى غيرهـا مـن طبقـات النـاس الأخـرى، أو **ادعاؤهـا التمتـع بصـورة سياسـية دون حـق**. فهـو القائـل: "لقـد منحـت النـاس قـوة كافيـة، فلـم انتقصـهم شـرفا يسـتحقونه أو أعطـيتهم أكثـر ممـا يسـتحقون، بـل وقفـت راعيـا يرعـى، أحمـى بـه الأعنـاء والعفـراء علـى السـواء، فلـم أسـمح لهـؤلاء أو هؤلائـك ان يعتـدوا ويتفوقوا دون حق".

وبـذلك، لـو حـاول مُشـرّع عصـرنا هـذا، قـراءة حديثـة لتشـريعات سـولون، لأمكنـه القـول: **إن سـولون كـان مصـلحا قانونيـا وواضـعا لدسـتور**، ولكـن لمـا نقـول كـان **مصـلحا**، فهـذا كافيـا للقـول أيضـا: إنـه **لـم يضـع قانونـا دسـتوريا منفصـلا** (أي مـن عـدم)، بـل

إن كل ما فعله هو أنه سنّ مجموعة القواعد التي سبق ذكرها؛ معتبرا أياها **بمثابة إرشادات لموظفي الدولة لضبط أعمالهم الإدارية.**

وبما أن **الموظفين** كانوا، في نظره، **خداما للقانون**، فقط رأى **ضرورة** تدوين القانون كتابة، حتى **يصبح لائحة مسطورة** (مكتوبة)، ويحل بذلك محل ما كن **عرفا غير مسطور عند اليونانسن**[1]. وهو بكل ذلك يكون قد أقام، **ضمنا**، أساس مشروع للدستور، يرتكز **على سيادة هذا القانون المدون**. ووضع **الموظفين** فيه في مكانهم الطبيعي، **أي خداما للقانون**.

ولكي يضمن التزامهم بذلك؛ أي يضمن انهم يعملون وفق هذا القانون، جعلهم مسؤولين أمام محاكم شعبية، ابتكر لها هو نفسه نظامها، بفطنة نادرة. حيث جعلها تضم بضعة ألوف من القضاة، **يستطيع أفقر المواطنين أن يأخذ مكانه فيها كقاض**. وكان **من حق** هذه المحاكم؛ إلى جانب حقها نظر الاستئناف في القضايا، **مراجعة سلوك أي موظف في نهاية مدة خدمته.**

وبهذا النظام وضع سولون سيادة "**حكم القضاء**" بيد الشعب. **دون منحه طبعا حق الاشراف على السياسة العامة**؛ أي "**سيادة الحكم السياسي**". ومع ذلك فنحن إذا ما أخذنا برأي أرسطو، الذي صاغه بعد ذلك بأكثر من قرنين من الزمن، والقائل: "**إن صاحب السيادة على الحكم القضائي هو صاحب السيادة على الدستور**" يكون سولون، **وفق هذا الرأى**، قد اقام، **ضمنا**، أساس صرح السيادة الشعبية؛ **أي نواة أسس الموقراطية اليونانية.**

أرسطو ودوره في فلسفة سياسة اليونان

---

[1] وهذا الانتقال من العرف غير المدون إلى القانون المكتوب، يعد أهم مؤشر على وجود الدولة نفسه؛ **إذ لا وجود لدولة بدون قانون، ولا وجود لقانون بدون دولة. فالقانون هو رمز وجود الدولة.**

لكـــن، لا ينبغـــي ان يأخـــذنا رأي أرســـطو بعيـــدا فـــي هـــذا الأمـــر، فـنحن إذا مـا أخـذنا **بحـدود العمـل الـذي قـام بـه فعـلا سـولون** فإنـــه لا يمكننـــا القـــول أكثـــر مـــن أنـــه أقـــام أســـس الديموقراطيـــة اليونانيـــة فـــي **المجـــال القضـــائي فقـــط**، ولـــيس فـــي مجالهـــا السياســـي. إي أنـــه لـــم يضـــمن بإصـــلاحاته القانونيـــة للشـــعب اليونـــاني أكثـــر مـــن **الحكـــم بالقـــانون وفـــق قواعـــد مدونـــة معروفـــة للجميـــع** . ومـع ذلـك فـإن مـا أتاحـه مشـروعه الاصـلاحي **لـــدخول فقـــراء الأثنـــيين الجمعيـــة**، وإعطـــاؤهم بـــذلك **حـــق صـــوتهم** فـي انتخـاب المـوظفين (موظفـو الدولـة)، **لـم يكـن انجـازا سياسيا هينا.**

لهـذا، يجـدر بنـا الاكتفـاء بهـذه الخلاصـة حـول إســهام ســولون الأساســي، فـي **تطـور الفكـر السياسـي** فـي اليونـان القديـة، **وفـي تطـوير الحيـاة السياســية فيهـا**. أمـا تفاصـيل أعمالـه الكاملـة، فتخـرج عـن نطـاق دروسـنا. وهـي تفاصـيل مازالـت موضـع جـدل، بـين البـاحثين فـي تـراث الفكـر السياسـي اليونـاني. بـل إن كثيـرا مـن الجـدل حولهـا، كـان قائمـا بـين الأثينيـين (مواطنـو أثينـا) أنفســهم، فـي نهايـة القـرن الحـامس قبـل المـيلاد؛ خاصـة الجـدل حـول معنـى مـا قـام بـه سـولون ومـدى تـأثيره فـي الحيـاة السياسـية اليونانيـة. ولـم يكـن هـذا الجـدل ذو طـابع أكـاديمي بـل كـان ذو طـابع عملـي يعكـس مواقـف القـوى السياســية المتنافســة[1]، المـؤثرة في الحياة السياسية في اليونان؛ **وخاصة في أثنا.**

ولأن فكـرة الدولـة والحكـم والعدالـة والقـانون، كانـت أهـم شـواغل الفكـــر السياســـي اليوني،كمـــا رأينـــا؛ خاصـــة مـــع ســـولون ومـــع الشـــاعران هـــوميروس وهســـيودوس مـــن قبلـــه، فـــإن **فكـــرة العدالـــة**

---

[1] فقـد كـان الحـزب الـديموقراطي يـرى فيـه أبـا للديموقراطيـة، التـي ازدهـرت فـــي أثينـــا أيـــام حاكمهـــا الشـــهير "بـــركليس. – Périclès – حـــوالي 429/495 ق م". أمـــا المعتـــدلون، وهـــم أصـــحاب نزعـــة أوليغارشـــية (Oligarchie) محافظـة. (وهـي نـوع مـن أنـواع الحكومـات ظهـر فـي اليونـان القديمـة، تكـون السـلطة فيـه محصـورة بيـد مجموعـة ضـيقة مـن النـاس يشـكلون طبقـة مهيمنـة)، فقـد كـانوا يعتبرونـه أبـا لدسـتور معتـدل خلـف أرضـيته الأجـداد. ولذلك ينبغي، في نظرهم، عودة أثينا أليه.

كانـت أهـم هـذه الشـواغل؛ وهـي فكـرة كانـت تعنـي فـي أساسـها **عدالة فئات الناس الأحرار وطبقاتهم**، لا المواطنين **الأفراد**.

نقـول، ولأن **فكـرة العدالـة** كانـت مـن اهـم شـواغل الفكـر السياسـي اليونـاني، فـإن هـاجس البحـث عـن نظريـة فيهـا وتبريـر دواعـي تجسـيدها، قـد شـغل اهتمـام العلمـاء أيضـا بهـا، وتبريـر فضـائلها علميـا؛ مثلمـا هـو الحـال عنـد العـالم الرياضـي اليونـاني الكبيـر "**فيثـاغورس**"، الـذي سـبقت الإشـارة إليـه؛ حيـث قـدم أتباعـه لمـواطنيهم **نظريـة فـي العدالـة** مسـتوحاة، كمـا سـنرى، من نظرية العدد الرياضيه عنده.

فقـد كـان هـذا العـالم مواطنـا **أيُّونيـا** (نسـبة إلـى مدينـة أيونيـا - Ionie) اليونانيـة، هـاجر إلـى جنـوب إيطاليـا واسـتوطن فيـه، فأسـس مدرسـة هنـاك فـي مدينـة "كروتـون – Crotone"[1]، صـار لـه منهـا اتبـاع سُـمّيوا بإسـمه (الفيثـاغوريون Les pythagoriciens)، كمـا سـميت المدرسـة باسـمه (أي، المدرسـة الفيثاغوريـة – Ecole pythagoricienne).

ومـن المعـروف أن مدينـة أيونيـا كانـت، كمـا سـبقت الإشـارة فـي درس مـاض، منشـأ الفلسـفة الطبيعيـة الأيونيـة، فقـد انطلـق منهـا النقـاش الحـر حـول **أصـل الأشـياء الماديـة الطبعيـة المحيطـة بهـم**؛ حيـث انصـرف هـؤلاء إلـى العلـوم الطبيعيـة، وكـان أشـهرهم "**طـاليس** – Thales – حـوالي 585 ق م"[2]. وكـان أكثـر مـا حيـر هـؤلاء فـي هـذا العـالم الطبيعـي هـو **تعـدد** عناصـره وكثرتهـا، **وتغـير** حالاتهـا **وتحولهـا** مـن حـال إلـى حـال، أو مـن عنصـر علـى آخـر. ولـذلك، فقـد تركـز اهتمـامهم فـي البحـث عـن "**الجـوهر الواحـد**"؛ أي الجـوهر الـذي يختـزل هـذا التعـدد، والعـودة إليـه لفهـم طبيعـة

---

[1] مدينة تقع على الساحل الغربي لخليج ثارونث - Tarente، في جنوب ايطاليا، على رأس أرضية ممتدة في بحر ايونيا؛ تأسست حوالي 710 ق م، من قبل الآشيون - Achéens. شعب من أصول هندو-أوروبية، استوطن الساحل الشمالي لليونان القديمة، في الألفية الثانية قبل الميلاد.

[2] هو الفيلسوف الذي تعود أليه بداية الفلسفة الطبيعية الأيونية، في اليونان القديمة.

عناصر الطبيعة كلها. نعني البحث عن المادة الأصلية الوحيدة التي كانت **أصلا لعناصر الطبيعة المتعددة على اختلافها.** والتي نشأت منها جميع هذه **العناصر المرأبة**. وقد اوصلتهم مناقشاتهم الحرة لهذه القضية، في **أيونيا**، إلى استنتاجات أوسع مما كانوا ينشدون، حيث قادتهم إلى الاقتناع بأن حلول لغز هذا العالم الطبيعي، التي توصلوا اليها آنذاك، **تنطبق أيضا على حياة الإنسان**، بقدر انطباقها على حياة الطبيعة (أي الأرض). كما أن النتائج الخاصة بعناصر **الطبيعة المادية** والعلاقات المتبادلة بين هذه العناصر، كانت تتضمن بالنسبة إليهم، **نتائج مماثلة** لعناصر **الطبيعة الأخلاقية للإنسان** وما بينها من صلات.

صحيح، إن **الإنسان** لم يكن محور اهتمام المدرسة الطبيعية الأيونية الأساسي، قبل سقراط، ولا كانت الدولة وشؤونها شاغلهم أيضا. إلا ان قناعاتهم بنتائج مناقشاتهم قادتهم إلى الاقتناع بمماثلة مكونات **الطبيعة** بمكونات **الانسان** الاخلاقية وعلاقاتها وكذلك مكونات **الدولة** والكيفية التي تم بها اتحاد عناصرها. وأول من خطا هذه الخطوة، وانتقل من الحقيقة المفترضة انها **حقيقة طبيعية** إلى **الحقيقة الاخلاقية** المقابلة لها ثم **حقيقة الدولة**. هم الفيثاغوريون.

فقد مكنتهم نظرية العدد الرياضية الفيثاغورية، من التعامل مع عناصر الطبيعة المادية بعناصر **العدد** الرياضية **غير المادية** (أي المجردة)، مما سهل لهذه النظرية الامتداد إلى عالم الانسان **وسلوكه الاخلاقي** (أي ظهور امكانية تعميم نظرية العدد المجردة، على عالم سلوك الانسان الاخلاقي **المتعدد والمتحول**)؛ حيث يمكن القول: إن المبدأ الأساس في هذا العالم الاخلاقي هو أيضا **مبدأ العدد** أو بالتحديد **القاعدة العددية.**[1]

---

[1] وفكرة الامتداد هذه؛ أي الانتقال في تطبيق نظرية العدد الرياضية، من المبدأ الرياضي إلى مبدأ السلوك الاخلاقي عند الانسان، يمكن مقارنتها، كما سنرى في درس قادم، بما جاء في محاورة أفلاطون للسفسطائي

وعلى هذا الأساس توصل الفيثاغريون المحدثون إلى فكرة **العدالة**، ذلك أن العدالة في نظرهم (العدالة في عالم العدد)، هي **عدد من الأعداد مضروب في نفسه**. أي أنه عدد **مربع**؛ والعدد المربع **ينسحم انسحاما كاملا مع نفسه**، لأنه يتكون من أجزاء **متساوية** عددها يساوي القيمة العددية لكل جزء على حدة. فإذا عرفت **العدالة** (بالمقارنة)بأنها **عدد مربع** ترتب على ذلك أنها تقوم على فكرة أن **الدولة** تتكون من **أجزاء متساوية**، أو ينبغي ان تكون كذلك. وكما أن العدد يبقى عددا مربعا، طالما **يبقى التساوي بين أجزائه**. كذلك فإن الدولة تظل **عادلة** طالما تميزت بالمساواة بين أجزائها. **والعدالة** في جوهرها، ليست إذن سوى **المحافظة على هذه المساواة.**

ولكن السؤال الذي فرض نفسه بعد ذلك، هو كيف يمكن المحافظة على هذه المساواة ؟ وقد أجاب الفيثاغوريون عليه بإمكانية المحافظة على هذه المساواة بإنصاف المظلوم (المعتدى عليه). وذلك بأن **نأخذ من المعتدى**، الذي زاد نفسه **ضخامة وقوة** (أو غنى)، **ما أخذه أو ربحه ظلما** من ضحيته التي زادها **ضآلة وضعفا** (أو فقرا)، **ونعيده كاملا** إلى صاحبه الذي خسره. ومن هنا جاء التعريف الآخر الذي عرَّفَ به الفيثاغوريون **العدالة** بأنها مقابلة **المثل بالمثل**: وهو التنعبير الذي عبرت عنه الحكمة القائلة "**بالكيل الذى تكيلون به يكال لكم**".

ومن المعروف أن فكرة **العدالة الفيثاغورية** هذه، كان لها تأثيرها في رسم الاتجاه الذي اخذه الفكر السياسي الإغريقي

الشهير "غورغياس - Gorgias"؛ حيث يقول إن حُبَّ الذات يتناقض مع فكرة الزمالة والصداقة الطبيعية....ويتعارض مع نظرية المساواة الهندسية. ويقدم مثالا لذلك **نظام سير الكواكب وانسجامه**. لأن كل منها يحافظ على مكانه المعين، ولا يخرق المساواة بالتدخل في شؤون غيره. **وقياسا** على هذا النحو، أي على نظام الكواكب المنسجم، يجب على الناس أن **يحافظوا على ما بينهم من علاقات** (زمالة وصداقة...الخ)، وذلك بأن يبقى كل واحد منهم في مكانه المعين (يقصد مكانته في المجتمع)، ولا يخرق المساواة بالتدخل في شؤون غيره، للحصول على المزيد ....

بعد ذلك، عالجها في ذلك مثل فكرة **العدالة** التي جاء بها **سولون** من قبله. فكما أشرت فكرة سولون في فكر أفلاطون وأرسطو، كما سوف نرى في درس قادم، كذلك أشرت فكرة الهيناغوريين في فكرهما السياسي. وليس أدل على ذلك من أن مفاد فكرتهم الذاهبة إلى أن **الدولة** هي **مجموع أعداد متساوية**، وأن هدف الدولة هو تحقيق **الانسجام** أو التوازن الذي سموه **العدالة**، وهو الذي يحافظ على اتساق أعضائها، هي الفكرة التي سيأخذ بها أفلاطون، بعد ذلك، في كتابه "الجمهورية" **فكرته عن العدالة**.

ولكن نتبع تفاصيل أثر أفكار سولون والهيناغوريين على أفكار من تلاهم السياسية لا يدخل في نطاق هذا الدرس؛ فهو موضوع متشعب كثيرا، يتعذر الالمام به في **منطلقات متباينة هذا السداعوجي**، المتمثلة، في محوره الأول، في **تحديد أهم تفاعل** الفكر السياسي الاغريقي القديم، ورسم معالم تطوره الكبرى، من خلال الإشارة الموجزة لأهم المعالجات التي قدمت حلولا نظرية لتلك التفاعل العملية.

لذلك، يجدر بنا الاكتفاء هنا بما تقدم من دروس **كقسم أول في هذا المحور**، لننتقل في درسنا القادم إلى القسم الثاني منه: والمتمثل في المعالجات النظرية المقدمة إجابة، لتفاعل المواطن اليوناني الحر السياسية، **في عهد الديموقراطية الأتينية**: بدءا بالسوفسطائيين وانتهاء بأرسطو مرورا بأفلاطون.....

.....يتبع

الدرس القادم

تطور الفكر السياسي اليوناني (2)

من السفسطائيين إلى أفلاطون

..تابع .....

الدرس الثالث

كيـف، أيـن ومتـى نشـأ الفكـر السياسـي، فـي اليونـان القديمة ؟

يختلـف المؤرخـون فيمـا يقيمونـه مـن مقارنـات، بـين مراحـل تطـور الفكـر السياسـي فـي العصـر اليونـاني وعصـرنا الحـديث. فبينمـا نجـد مـن يقـارن كـل العصـور اليونانيـة القديمـة إلـى فتـرة القـرن الخـامس، بمـا نسـميه بالعصـور الوسـطى مـن تـاريخ أوروبـا الوسـيط، علـى أسـاس أن الفتـرتين بـدأتا بهجـرات للقبائـل وانتهيتـا باكتشـاف لـ "**العـالم والإنسـان**"، إذ بنـا نجـد مـن المـؤرخين مـن يقـارن الفتـرة الأولـى مـن تـاريخ اليونـان، قبـل نهضـتهم أيـام "**سـولون – Solon** – حـوالي 558/640 ق م "، بفتـرة العصـور الوسـطى مـن تـاريخ أوروبـا. ويضـع فتـرة "**الإصـلاح**" و"**عصـر النهضـة**"، فـي القـرن السادس.

فـإذا أخـذنا بالمقارنـة الثانيـة، أمكننـا القـول: إن الفكـر السـياس فـي العصـور الوسـطى اليونانيـة، يتمثـل فـي كتابـات كـل مـن الشـاعران الكبيـران "هـوميروس -Homèros أو Homère بالفرنسـية - نهايـة القـرن الثـامن قبـل الميلـد" و "هسـيودوس – Hesiodos-" تاريخ ميلاده غير معروف، ولكنه معاصر لهوميروس.

وهمـا الشـاعران الوحيـدان فـي ذلـك العصـر. وقـد ورد فـي أشـعارهما أفكـار ذات طـابع سياسـي، تتعلـق بشـؤون **الحـرب** و **وأحاديـة القيـادة**، **والانضـباط والطاعـة**، **وحـق الملكيـة الالهـي**، **والحكـم، ودور القبلـة...الخ** خاصـة فـي أشـعار هـوميروس الـواردة فـي "**الإليـاذة** – L'Iliade"، التـي تضـمن موضـوعها قصـة **حـرب طـروادة**، وبشـكل أقـل فـي"**الأوديسـة** –

L'Odyssée"، التـــي تركـــز موضـــوعها علـــى قصـــة **نهايـــة حصار مدينة طروادة**، وبدء عودة المحاربين إلى ديارهم.

كـل ذلـك جـاء فـي أشـعار هـوميروس، فـي وقـت كـان يطلـق فيـه علـى **"الملـك"** لقـب **حـاكم المجتمـع**، كمـا كـان كـل زعمـاء القبيلـة يحملـون اسـم **"أميـر"**، ويـدعون جمـيعهم شـرف انتسـابهم إلـى **سـلالة الألهـة**. ولا يختلـف الملـك الفعلـي عـن ذلـك، إذ كـل مـا يميـزه عـنهم، سـوى كونـه الشـخص الـذي اختـاره المجتمـع كلـه، وعينه حاكما له.

وهكـذا نـرى، مـن خـلال أشـعار هـوميروس، أن **القسلـة** فـي أيامـه – القـرن الثـامن قبـل المـيلاد – كانـت **ذات سـيادة علـى نفسـها**. وان حاكمهـا الاعلـى يتـولى منصـبه كممثـل لهـا وناطق باسـمها[1]. ولأن مـا يعنينـا، فـي سـياق درسـنا هـذا، لـيس هـو موضـوع دور القبيلـة السياسـي فـي العهـد اليونـاني الوسـيط، ولا رأي الشـاعران هـوميروس وهسـيودس فـي ذلـك أيضـا، بـل موضـوع **الملـك والحكـم** بشـكل خـاص؛ باعتبـاره محـور التفكيـر السياسـي وتنظيـره، فـي كـل العهـود، فإنـه مـن الضـروري الإشـارة إلـى موقفهما من ذلك، ولكن تمهيدا فقط لآراء من أتى بعدهما.

فبينمـا يعتـرف **هـوميروس** بهـذا النـوع مـن **الملكيـة؛** الملكيـة المسـتمدة أصـلا مـن الحـق الالهـي، حيـث **ينتسـب الملـك وامـراء القسلـة، كمـا سـبقت الإشـارة، الـى سـلالته**. فـإن **هسـيودوس** لا يعـرف إلا زعامـة (قيـادة) واحـدة، وهـي الزعامـة التي يتولها عدد من الامراء[2].

---

[1] كانت هذه الخصائص هي تقريبا ذاتها خصائص القبيلة العربية، قبل الاسلام.

[2] وفـي هـذا الخصـوص نقـرأ لـه، وهـو يخاطـب أخيـه برسـيس، الـذي ظلمـه كمـا يقـال: بمـا يلـي: "....أي، برسـيس، اتبـع العـدل واهجـر التعـدي، فـالتقوى شـر وبيـل علـى الرجـل الفقيـر، أمـا الغنـي فلـن يسـتطيع فـي النهايـة احتمـال عاقبتـه، فالسـماء تبعـث الرخـاء إلـى الاخيـار، أمـا **الظـالمون فلهـم ولمـدنهم الخـراب** والـدمار، **فالعدالـة تحـرز السـبق فـي النهايـة**. ....." ثـم اضـاف مخاطـا أيـاه عـن **لاعدالـة الملـوك** بـالقول: " .....أي برسـيس، هنـاك نوعـان مـن النـزاع، لا نـوع واحـد. هنـاك نـزاع محمـود يحفـز المـرء إلـى الكـد والعمـل

وهـو الـرأي الـذي ناقضـه السفسـطائيون بعـد ذلـك بـثلاث قـرون، كمـا سـنرى فـي درس قـادم، **بـالرأى الـذى كـان يعتنقـه الأمـراء في عهده.**

ولكـن مـا يهمنـا أكثـر فـي سـياق هـذا الـدرس أيضـا، هـو أنـه فـي القـرن السـادس قبـل المـيلاد (بـين 500/600 ق م)؛ أي بعـد قـرنين مـن الـزمن مـن بـروز أفكـار هـوميروس وهسـيودوس السياسـية، **ظهـر فجـر سياسـي جديـد فـي اليونـان،** إرتـبط أساسـا بأفكـار الشاعر والمشرع الكبير **"سولون - solon".**

ففـي القـرن السـابع قبـل المـيلاد (بـين 600/700 ق م)، كانـت قـد اجتاحـت اليونـان **أزمـة اقتصـادية**[1]؛ إذ ابتلعـت **عمليـات رهـن أراضـي الفقـراء لـدى الاغنيـاء أرضـهم**، فضَـمَّ الأغنيـاء، جـراء

ومنافسـة أقرانـه، وهنـاك نـزاع كريـه يـدفع إلـى الحـرب وإلـى الـدمار. **ابتعـد عـن دور القضـاء** وتـذكر مـا اغتصـبت منـي ومـا قـدمت مـن **رشـوة إلـى ملوكنـا** الـذين لا يحكمـون بـين النـاس بالعـدل. (محمـد سـليم سـالم، قصـيدة الأعمال والأيام لهسيودوس، مجلة تراث الإنسانية – 1964. ص 492)

[1] يمكـن تبـين مؤشـرات بدايـة هـذه الازمـة فـي أشـعار هسـيودوس نفسـه، أي أن مؤشـراتها بـدأت بـالظهور فـي القـرن الثـامن قبـل المـيلاد، حيـث أشـار إلـى حـالات الفقـر، وإلـى فسـاد الملـوك ولا عـدلهم؛ محـذرا الأمـراء مـن كـل ذلـك. وذلـك فـي انجيـاز واضـح لـه إلـى الفقـراء والمظلـومين، خاصـة فـي قصـيدته المعروفـة **"الأعمـال والأيـام"؛** حيـث نقـرأ لـه فيهـا مقطعـين معبّـرين عـن ذلـك. فهـو القائـل: "....فالعمـل شـرف، والبطالـة عـار. والبطـال كـذكر النحـل يأكـل ولا يعمـل. والعمـل مصـدر الثـراء، والثـراء أسـاس المجـد والشـهرة. ومهمـا كـان حظـك فـي الحيـاة، فعليـك بالعمـل، فهـو أفضـل لـك.... والثقـة بـالنفس تـلازم الغنـي، ولكـن ينبغـي ألا يغتصـب الثـراء، فكـل مـال أخـذ عنـوة او خـداعا فهـو إلـى زوال....". وهـو القائـل أيضـا، فـي مقطـع سـابق عـن هـذا المقطـع لـنفس القصـيدة: "... أيهـا الأمـراء، الحـذر، الحـذر ! فالآلهـة تـرى جميـع مـن يظلـم البشـر ويحكـم بغيـر الحـق ولا يخشـى الآلهـة. ولـزوس ألـوف مـن الأرواح ترصـد أعمـال النـاس فـي أطـراف المعمـورة. والعدالـة ابنـة الإلـه زوس تشـكو إلـى ابيهـا قلـوب البشـر العاتيـة، حتـى يدفـه الأهلـون ثمـن مـا ارتكـب أمـراؤهم مـن الآثـام....إن مـن يرتكـب إثمـا ضـد إنسـان مـا يرتكـب إثمـا ضـد نفسـه...". راجع محمد سليم سالم، المرجع السابق. ص 488

الدولة في علم الاجتماع:

المفهوم السوسيولوجي للدولة: (علم الاجتماع السياسي).

~~تعثر المفهوم~~

يمكن تعريف الدولة سوسيولوجيا من تعريف Duguit بأنها [عبارة عن مجموعة من الناس الاجتماعيين يقطن ملبقة حالة وأين محكومة بذلك فإن "دوجي" يطلق اسم الدولة على كل تنظيم للحياة السياسية القديمة منها والحديث، المتقدم والمتأخر أي أن كل مجتمع سياسي مهما كانت صورته يسمى دولة] (1)

وأيضا من تعريفا ماكس فيبر الذي يعرف الدولة على أنها [تنظيما عقليا، يوفر القيادة الرشيدة التي تعتمد استخدام القهر لتحقيق أغراضها، كما يعرفها بأنها مشروع سياسي ذو طابع مؤسساتي، تطالب قيادته الإدارية بالنجاح وفي تطبيقها للأنظمة باحتكار الإكراه أو القهر المبرر في المشروع، ذو الصفة المشروعة] (2)

وأيضا العديد من التعريفات الأخرى للدولة كتعريف "روبرت ماكيفر" Garner، ولكن التعريف الذي ~~لا~~ يلاحظ فيه نوع من الاتفاق بين العلماء الاجتماعيين والدارسين لموضوع الدولة هو الذي يعرف الدولة، بأنه مجموعة من الأفراد يقيمون بصفة دائمة في إقليم معين، وتسيطر عليهم هيئة منظمة استقر الناس على تسميتها حكومة. (3)

الدولة والمجتمع: الدولة كمنظمة اجتماعية

مصعب علم الاجتماع ص 32. (معمر) ص 60.

ص 81 (الأنثروبولوجيا)

ذلـــك، أرض جيـــرانهم الفقـــراء إلـــى ملكيـــاتهم. ولأن **النتيجـــة الطبيعـــة** لـــذلك؛ أي لهـــذه الازمـــة الاقتصـــادية، **هـــي الفوضـــى**، فقـــد كـــان مـــن الضـــروري **ظهـــور عقليـــة جديـــدة وقـــوانين جديـــدة** في اليونان، غايتها تجنب الفوضى وتجاوزها.

أمـــا هـــذه العقليـــة الجديـــة فيـــرَدّ المؤرخـــون منبعهـــا إلـــى **معبـــد مدينـــة "دلفـــي – Delphes"**[1] اليونانيـــة، وأمـــا القـــوانين الجديـــدة فقـــد شـــرّعها مُقنِّنـــون، كـــان أبـــرزهم المشـــرع ســـولون. الأمـــر الـــذي جعـــل المـــؤرخين يجمعـــون علـــى أن **تعـــالـيم** معبـــد ديلفـــي كانـــت مصـــدر إلهـــام مـــا سُـــميَّ بـــ "**حركـــة الاصـــلاح اليونانيـــة**"، حـــوالي 600 قبل الميلاد.

فقـــد انفصـــلت مدينـــة دلفـــي عـــن **قبلـــة** "الفوكســـيين"، ولـــم تعـــد تســـتمد هويتهـــا منهـــا، بـــل صـــارت **دولـــة كنســـية** (أي، دينيـــة)، وكـــان لمعبـــد دلفـــي شـــهرته، حيـــث كـــان **كهنتـــه** ، وفـــي طليعـــتهم الكاهنـــة "**بيثيـــا** - Pythia"[2]، يعتقـــدون بأســـطورة قديمـــة، مفادهـــا أن إلههـــم "أبولـــون – Apollon"، هـــو مبتـــدع **التطهيـــر**، (Purification)، تطهيـــر المـــذنبين مـــن ذنـــوبهم والمجـــرمين مـــن جـــرائمهم؛ بمـــا فيهـــا جريمـــة القتـــل. وقـــد توســـع **كهنـــة** هـــذا المعبـــد فـــي تفســـير هـــذه الروايـــة (الاســـطورة)، وتأويلهـــا تـــأويلا شـــاملا، إلـــى الحـــد الـــذي جعلهـــم يعتقـــدون أن الإلـــه أبولـــون (إلههـــم) هـــو مفســـر الأخـــلاق اليونانيـــة وواضعها، والمعبر عن قوانينها.

---

[1] مدينـة اغريقيـة قديمـة، تقـع فـي سـفح "**جبـل البارنـاس**" الشـهير" mont Parnasse"، وهـــي مـــوطن **معبـــد** الالـــه ابولـــو، معبـــد مختلـــف **الهلينيـــين** (ســـكان اليونـــان الأوائـــل الأصـــليون) - sanctuaire panhellénique - هـــو **معبـــد مدينـــة دلفـــي ذو الشـــهرة التاريخيـــة المعروفـــة**. إضـافة إلـى معابـد أخـــرى، مختلفـــة الأحجـــام والأشـــكال الهندســـية، تجمـــع روحيـــا مختلـــف الهلينيـــين أيضـــا (ssanctuaires panhellénique). وقـــد شـــملت تعـــاليم هـــذه المعابـد الدينيـة كـل سـكان اليونـان القديمـة، بـل **وحتـى بعـض المجموعـات البشرية من غير اليونانيين، أي من البرابرة كما كانوا يسمونهم.**

[2] كانت أكثر كهنة معبد "أبولون" **بدلفي**، تأثيرا وقداسة في المعبد؛ فهي كما جاء في اسطورة الإله "أبولون" الوسيط الروحي بينه وبين الكهنة. وهي كاهنته وملتقطة وحيه.

وكـان جـوهر **تعـاليم هـذا المعهـد الأخلاقيـة** (أي، فلسـفته الاخلاقيـة) هـو حاجـة الانسـان والاجتمـاع الانسـاني عمومـا، إلـى **الاعتـدال**. ولـذلك فـإن دروسـه الوعظيـة كانـت تـدور حـول **جمـال الاعتـدال**، وحاجـة الانسـان المسـتمرة الـى تـذكر أن **لكـل شـيء حـدود لا ينبغـي ان يتخطاهـا**. ولـذلك كانـت هـذه التعـاليم تـردد ان **حـب الكسـب وشـهوته**، التـي كانـت سـبب كـل المتاعـب السـابقة، يجـب ان يكـبح جماحهـا، ليصـبح شـعار الحيـاة مسـتقبلا، ومبـدأها، كمـا يُـردّد كهنـة معبـد دلفـي، هـو: "**لا للمغـالاة، فـي أي شـيء كان**".

وهكـذ، انتشـر هـذا التقليـد الجديـد فـي التفكيـر، وتغلغـل فـي الحيـاة اليونانيـة، ويعمـر طـويلا فيهـا؛ بعـد أن تعـزز بفلسـفات أخـرى، جـاءت بعـد ذلـك، كـان أهمهـا فلسـفة العـالم والرياضـي الكبيـر "**فيثـاغورس** – Pythagore – حـوالي 497/580 ق م" القائمـة علـى مبـدأ "**الحـد**"، ومبـدأ ارسـطو الكلاسـيكي المعـروف بـ "**الوسـط الـذهبي**". فهـذان المبـدآن يعبـران بكـل وضـوح علـى فلسـفة الاعتـدال، ويلتقيـان بصـورة مباشـرة أو غيـر مباشـرة، مـع تعاليم معبد دلفي الدينية، حول الاعتدال.

ولكـن، "أبولـون" لـم يكـن مفسـر الاخـلاق اليونانيـة فحسـب، بـل هـو أيضـا المعبـر عـن القـانون ومصـدره. ولـذلك كـان هـم المشـرعين، الـذين اقترنـت حركـة "**الاصـلاح اليونـاني**"، التـي سـبق ذكرهـا، بنشـاطهم التشـريعي، هـو **ايجـاد الصـيغ التشـريعية لتطبيـق الـدروس (الأفكـار)**، التـي انبعثـت مـن **معبـد دلفـي** عـن القـانون وغايتـه. والتـي تنحصـر فـي **الاعتـدال والوقـوف عنـد الحـدود المطلوب احترامها.**

وفـي هـذا السـياق، ظهـرت روايـة تتحـدث عـن **سـبعة حكمـاء**، لا يـذكر لنـا التـاريخ مـنهم، كـأثر بـاق، سـوى واحـد هـو "**سـولون**". وينسـب المؤرخـون إلـى هـؤلاء الحكمـاء السـبع، نشـاطا سياسـيا كبيـرا؛ حيـث يـذكرون أن **فلسـفتهم السياسـية** قـد صـاغوها علـى شـكل أقـوال وحكـم معروفـة (Citations célèbres)؛ أي فـي قالـب **أمثـال-** Proverbes؛ قـال عنـه أفلاطـون، فـي وقتـه (القـرن الخـامس

ق م): إنهـا كانـت تتضـمن بعـض **أحكـام صـادقة** اسـتمدوها مـن التجربة، أو استخلصوها من **ملاحظات عيونهم الفاحصة**.

والواقـع أن "**أقـوال الحكمـاء السـبع**" هـذه، كانـت، فـي أساسـها، أحكـام أخلاقيـة إلـى حـد كبيـر. ولكنهـا تضـمنت فـي ثناياهـا حقـائق سياسـية؛ مثـل الحقيقـة القائلـة: "إن المنصـب كفيـل بـأن يظهـر المعـدن الـذي صـنع منـه الانسـان". ويضـيف أفلاطـون أيضـا، أن هـؤلاء الحكمـاء السـبع أهـدوا، جميعهم، ثمـار حكمتهم إلـى **معبـد أبولـون فـي دلفـي**؛ مؤكـدين بـذلك ارتبـاطهم بالتعاليم الالهية (تعاليم الاله أبولون).

وممـا يؤكـده المؤرخـون أن **الامفكتيـون**-amphictyons[1]، ناقشـوا أقـوالهم داخـل معبـد دلفـي، بعـد أن وضـعوها علـى جدرانـه، وذلك حتى يعطوها شيئا من قدسية الوحي الإلهي.

أمـا جـورج عـروت[2] فيعتبـر هـذه الاسـماء الشـهيرة: اسـماء الحكمـاء السـبعة، **مهـد الفلسـفة الاجتماعيـة**. فـي عصـورها الأولـى، كمـا كانـت دلفـي **مصـدر** الهـام **النشـاط السياسـي**، الـذي قـام بـه المفتشـون **ومسـح فكـر هـذا النشـاط**. فـي عصـر سـولون: شـأنه فـي ذلـك شـأن الفلسـفة الاجتماعيـة. وكـان هـذف هـؤلاء المفتشين، حسـب مـا سـمحت لنـا بـه أعمـال سـولون المدونـة مـن حكـم، هـو أن يحسـدوا دروس "**الاعتـدال**" و"**الحـد**"، أو التحديـد، فـي مجـال الحيـاة الاجتماعيـة والسياسـية. و أن يعيـدوا

---

(1) الامفكتيون هم، كما يقال في اللغة العربية "سدنة المعبد". وفي المعنى الاغريقي القديم، هم اعضاء رابطة دينية مقدسة، تسهر على إدارة معبد ما وحراسته، والحفاظ على تعاليمه الدينية: ومن مهامهم الأساسية أيضا، إحياء المناسبات الدينية واحتفالاتها وضبط طقوسها. وتتشكّلُ أعضاؤها، عادة، من "ممثلين - Députés" عن كل شعب من الشعوب اليونانية المنتمية دينيا إلى هذا المعبد.

(2) جـورج عـروت George Grote - 1871/1794، مـؤرخ انجليـزي متخصـص فـي التـاريخ القـديم، عـرف بمؤلفـه الشـهير "تـاريخ اليونـان - Histoire de La Grèce"

بـذلك للدولـة **وحـدتها الاجتماعيـة**، وذلـك **بتقسـد اسـتعمال الثروة**. والاعتدال في ذلك.

وهكـذ، سـعى سـولون إلـى إدخـال **المثـل الأعلـى** للمسـاواة الاجتماعيـة، فـي دولـة مزقتهـا **النزاعـات بـين الأغنيـاء والفقـراء**؛ محـاولا **كـبح جمـاح الأقويـاء** ومـنعهم مـن اسـتغلال ثـرائهم **دون قيـد**، بـاذلا مـا بوسـعه لرفـع شـأن الفقـراء. فمـن ناحيـة **ألغـى الـدُّيون** التـي تراكمـت علـى فقـراء الفلاحـين، **نتيجـة لعمليـات الـرهن**، التـي سـبق ذكرهـا أول هـذا الـدرس، واضـعا **حـدا أعلـى**[1] لملكيـة الأرض. وإصـدار **قـوانين ضـد التـرف**، قيـد بهـا حـق الأثريـاء في **بعثرة أموالهم بصورة تثير الحقد** (حقد الفقراء والضعفاء).

هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى حـاول، فـي المقابـل، ان يجعـل مـن **الفلاحـين ملاكـا لمـزارعهم**. وتـدعيما لرؤيتـه المتكاملـة للأمـن الاجتمـاعي والاسـتقرار السياسـي فـي المجتمـع، وضـع **قـوانين تسـهل للأجانـب** الإقامـة فـي مقاطعـة "**أتيكـا** - Attique"[2] ومـدنها، وفـي مقـدمتها مدينـة "**أثينـا** - Athènes". حتـى يمارسـون بعـض **الحـرف** والمهـن، التـي تتطلـب المهـارة العاليـة. وبـذلك شـجع اقامـة الصـناعات التقليديـة التـي ثبـت، أنهـا أعطـت، مـع مـرور الوقـت، خلاصـا للفقـراء وأنقـذتهم مـن **البـؤس وعـدم الاسـتقلال** اللـذين يولـدهما دومـا **النشـاط الزراعـي المحـض**، التـابع هـو بـدوره لتقلبـات الطقـس الطبيعيـة وعـدم استقرارها.

---

(1) لنتـذكر فلسـفة كهنـة معبـد دلفـي وحكمـتهم الدينيـة، القائمـة علـى مبـدأ الاعتـدال **والحـد** . أي وضـع حـد لكـل تطـرف. فهـا هـو سـولون يشـرع مجسـدا هـذا المبـدأ فـي تشـريعاته القانونيـة المقترحـة لحـل احـدى أكبـر المشـكلات الاجتماعيـة السياسـية التـي عصـفت باسـتقرار المدينـة وسـلمها الاجتمـاعي؛ مقترحـا لـذلك وضـع حـد أعلـى للملكيـة يكـبح بـه جمـاح الاغنيـاء وجشـعهم اللامحـدود للتملـك (ملكيـة الارض خصوصـا باعتبارهـا مصـدر الثراء).

(2) هـي مقاطعـة إداريـة مـن مقاطعـات اليونـان التاريخيـة، ولكنهـا اخـذت اهميـة خاصـة، بالنسـبة للمقاطعـات اليونانيـة الأخـرى، مـن كونهـا تضـم دولـة - مدينة "أثينا" الشهيرة. إضافة إلى انها تشكل شبه جزيرة في بحر ايجا.

فبهذه الاجراءات وبغيرها أيضا، سعى "سولون" إلى تكريس مبدأ **العدالة الاجتماعية.** ولقد قيل إن **إنسانية** قانون مقاطعة "اتيكا" (تشكل مقاطعة أتيكا شبه جزيرة)، كانت **تعسرا عن خلق سولون واعتداله** هو نفسه. فهو الذي خوّل **لأى مواطن أثني**، ، أن يقيم الدعوى بالنيابة عن شخص آخر، دون التعرض لأي خطر على نفسه، إذا علم أن جرما ما قد ارتكب في حق هذا الشخص؛ وذلك بهدف حماية الضعيف والمحتاج. (بمعنى ينوب عنه ويكفله قانونيا).

وبهذا خطا سولون خطوة كبيرة نحو إقامة **عدالة منصفة لا تحابي أحدا**. كما أصدر "**قانونا للجمعيات**"، جدير بالملاحظة والذكر هو أيضا. قانون يقول عنه الكاتب الالماني "أورليخ فون فيلاموفتز": لقد وضع سولون قانونا ينص على مبدأ ان الجماعة التي لها عبادة مشتركة، لها الحق في أن تصوغ لنفسها قوانين تعترف الدولة بصلاحيتها، بالنسبة لأعضاء الجماعة؛ **مادامت لا تتعارض مع قوانينها**.....وهكذا، أقيم مبدأ حرية الجمعيات في اليونان القديمة.

ومما له دلالته هنا التذكير أيضا، أن روح **مدونة القانون الروماني نفسها تعود إلى قانون سولون وتشريعاته.**

.....يتبع الدرس القادم

"الفكر السياسي من السفسطايين إلى أفلاطون"

"المسلة"

سلالة أور، - سلالة أورنمو -

وقد اعتقد الكلدانيون القدماء أن الآلهة هي التي تعين الملك وتعينه ومناصفه، فنظام الحكم في العراق القديم عامة كان نظاما ثيوقراطيا وراثيا، وأن الطابع الثيوقراطي للسلطة قد أخذ يتحول بالتدريج إلى سلطة دنيوية مستقلة عن المجتمع، وظل مبدأ الاختيار الإلهي للملك قائما حتى سقوطه الى سيد الدولة البابلية التي سقطت عام 539 ق.م/

وحتى الملك أورنمو[2] السومري مؤسس سلالة أور الثالثة فقد أصدر مجموعته القانونية التي عرفت باسمه، والتي تعتبر أقدم شريعة معروفة ومدونة تم اكتشافها حتى الآن، وعندما ورث حمورابي العرش عن أبيه عام 1792 قبل الميلاد كانت مملكة صغيرة الحجم لا تتجاوز 188 كلم طولا و 90 كلم عرضا.

وكان حمورابي من أعظم الملوك التي عرفتها العراق قديما وجاء في فترة من أقصى الفترات الغامضة في تاريخ العراق القديم، إذ كان مجرد أحد أمراء كثيرة نقد قعن حمورابي فترة طويلة مترددا وبتجنب أحدا حتى استطاع في نهاية الأمر أن يؤمن على كل الولايات المتاخمة له ويتفرد بزعامة البلاد، وفي عهده اعتبر نفسه أنه "آله الملوك" مقرونا بالحكمة، حتى أن الأمثال البابلية عبرت عن الملك أنه مرآة الإله اعتبارا أن حمورابي خلق تقويما للمعبد، أو الحق الإلهي أو الإرادة الإلهية، شخصيا من الإله "شمش وأنليل" وأن ملامة الملك هي نوع من التعبد.

وقد تم العثور على مسلة حمورابي عام 1901 (وشريعته)

---. ص 79.

٤/ مفهوم الدولة في الديانة المسيحية ،

[قبل ظهور المسيحية كان الفيلسوف أفلاطون يتحدث عن أنواع الحكم ....] (كتاب الجمهورية)

* جاء القديس أوغسطين بعد أفلاطون ، وربما فكرة العصر الوسيط بشكل متميز إذ يشد الفكر القديم لأفلاطون والفكر المسيحي في بناء خاص ، فهو جعل المدينة الفاضلة لأفلاطون قائمة على نعمة الروحية قائمة على الصمت والدين .

~~[illegible]~~ في الطلاقة أو غسطين تختلف عن أفلاطون فهو أسقف وبوعي مسيحي استمد فكره من كتاب مقدسه أن السلطة من الله ، فلا تسلطة لشخص على آخر بموجب القانون الطبيعي ، بل السلطة تفويض إلهي ، وقد تكون ممارستها في ملكية أو وراثة أو انتخاب أو العنصنة ، فالمهم في التفويض الإلهي هو علاقة السلطة بالله . وأن عناية الله لا تترك الدول وأنظمة الحكم تتغير سواء بعناية أو خطة لأن الله يتحكم على شيء ، وكل ما في التاريخ يسير وفق خطة الله .

وحيث أوغسطين أن القانون الأبدي مصدره الله وهو مسيطر كل قاعدة ونظام والله الذي يدبر كل الأمور بسبب القوانين الأكثر حكمة وتعقلاً ، وعلى الإنسان أن يتغير بقوانين الله ويخضع لهذه القوانين ، وإلا فقد توازنه فالقانون الإلهي يكون ثابتاً في كل مكان وزمان ، وعلى العالم أن يغير نفسه مؤمناً من عند الله ، وأنه يطبق مشيئة هذه أفكار أوغسطين التي لخصها في (كتابه (مدينة الله) ولكنه لم يعتد شكلاً لها بل يشدد فقط على الصدارة وخضوعه بتطبيقها من قبل السلطة الثانية واحترامها .

[لكن في رأيي فهو لا يمكن القول أن هناك نظام حكم واحد مثالي لأننا رأينا في التاريخ ملوكاً سقطوا أحياناً بالشعوب بهم قد نفيرها كما رأينا ملوكاً تسببوا كوارث كما هو نازي الذي في ألمانيا وأيضاً ديكتاتورية حققت العدالة الشعوبها كفرانسا ورأينا جمهوريات تسببت الكوارث لشعوبها كما هو نازي متكرر في أمانيا]

* أفلاطون :
- أرسطو ،

$5f(x)+10=0$
$5x=-10$
$x=\frac{-10}{5}$
$=-2$
$5(-2)+10=$
$-10+10=0$
- مدينة الله ،

$ax+b=0$
$ax=-b$
$x=-\frac{b}{a}$

$5f(x)=5a$

تاريخ الفكر السياسي

من المعرفة السياسية الى علم السياسة

ليس ثمة اليوم علم واحد فقط يدرس المجتمع والحياة الاجتماعية وظواهرها، بل ثمة علوم عديدة تقوم بهذه المهمة، تسمى العلوم الاجتماعية و/أو الانسانية؛ مثل علم الاقتصاد وعلم السياسة وعلم النفس وعلم الاخلاق (أي علم تقييم سلوك الانسان وقيمه في المجتمع) وكذا الفلسفة والسوسيولوجيا (أي علم الاجتماع بالمعنى الضيق والحديث للكلمة) ...الخ. فبماذا يتميز علم السياسة عن باقي العلوم الانسانية الأخرى التي تدرس المجتمع ؟، وما علاقته بتاريخ الفكر السياسي والمعرفة السياسية عموما ؟، وقبل ذلك ما علاقته بتاريخ الفكر الاجتماعي والمعرفة الاجتماعية أيضا ؟.

وفي هذا الخصوص يجدر بنا القول: إن كل علم من العلوم تسبقه معرفة عامة بموضوع ذلك العلم؛ تتراكم تدريجيا وتتطور نوعيا، عبر السنين، تزداد من خلالها وعبرها إلماما بظواهر الموضوع، وتزداد قدرة على تفسير اسبابها وتحديد مكوناتها عبر السنين ايضا، بل وحتى عبر العصور.

وإذا ما تجاوزنا تفاصيل وحيثيات ظهور المعرفة السياسية وبدايات توظيفها مجتمعيا في التاريخ، يمكن القول: إن حاجة الانسان الى السياسة كانت ضرورة فرضتها حاجته الى الاجتماع الانساني.

لذلك، فنحن نعتقد ان تقديم لمحة عن تاريخ المعرفة الاجتماعية والسياسية؛ او ما صار يسمى علوما اجتماعية، لا يسهل علينا معرفة المقصود بالفكر السياسي ونشأته؛ وبكل فكر اجتماعي ذو صلة موضوعية بالأفكار السياسية ونشأتها الاولى فحسب، بل تفرضه علينا ايضا مبررات منطقية ومنهجية، تلزمنا بها حقائق تاريخية، اجتماعية وسياسية، معروفة،كما

سـنرى لاحقـا؛ مبـررات منطقيـة ومنهجيـة غايتنـا منهـا هنـا، التمييـز بـين علـم السياسـة وتـاريخ الفكـر السياسـي والمعرفـة السياسـية عموما.

ولمـا نقـول علاقـة الفكـر السياسـي بـالفكر الاجتمـاعي، يعنـي اساسـا علاقتـه بـالفكر الـديني؛ فـالفكر الـديني والاجتمـاعي كانـا، كمـا هـو معلـوم عنـد جميـع مـؤرخي الفكـر، متـداخلين يتعـذر الفصـل بينهـا فـي معظـم القضـايا، وفـي كـل مراحـل التـاريخ القـديم والوسـيط، وذلـك منـذ نشـاة الفكـر السياسـي فـي احضـان الفكـر الاجتمـاعي والـديني فـي اليونـان القديمـة، كمـا سـنرى فـي دروسنا اللاحقة.

- علم السياسة :
- تاريخ الفكر السياسي :
- المعرفة السياسية :

1 – الفكـــر الاجتمـــاعي والسياســـي الســـابق علـــى علـــم الاجتماع وعلم السياسة

آ – العصر القديم:

ظهـرت البـذور الاولـى للتفكيـر الاجتمـاعي منـذ أقـدم الازمـان، فـي **الاســاطير والاديــان والفلســفات القديمــة**. الامــر الــذي جعــل مـؤرخي هـذا الفكـر يقـرون: أن فـي كـل مجتمـع سوسـيولوجيا (أو معرفـة اجتماعيـة) مضـمرة، نـادرا مـا تظهـر، أو مـا يُعبّـر عنهـا، فـي صـورة معرفـة متسـقة (أي فـي صـيغة نظريـات متكاملـة). فالافكـار الاجتماعيــة البســيطة التــي عرفتهــا مجتمعــات الشــرق القــديم وحضـاراته، قـد اتصـفت بالطـابع **العملـي المنفعـي الاخلاقـي، وبـالنظرة الاسـطورية الدينيـة الـى الحيـاة الاجتماعيـة**. ولـم تظهـر الافكـار الاجتماعيـة والسياسـية المتماسـكة، نظريـا، إلا فـي العصـر اليونـاني. ففـي القـرنين السـابع والسـادس قبـل المـيلاد (600/700 ق م) حـدث انعطـاف تـاريخي كبيـر فـي بـلاد اليونـا، أدى الـى ولادة **العلـم النظـرى**، وذلـك فـي مـدن آسـيا الصـغرى الأيونيـة اليونانيـة (آسـيا الصـغرى ذلـك الوقـت هـي هضـبة الأناضـول اليـوم؛ أي الجزء الأكبر من تركيا اليوم)

وإذا مـا قـورن التفكيـر الاجتمـاعي اليونـاني بالافكـار المـأثورة أو بـالأحرى المعروفـة عـن حضـارات **الشـرق القـديم** (يقصـد بحضـارات الشـرق القـديم حضـارات كـل مـن: مصـر الفرعونيـة، وبـلاد مـا بـين النهـرين – أي العـراق وسـوريا وفلسـطين ولبنـان اليـوم المعروفـة بحضـارت **سـومر وأكـاد وبابـل وأشـور وكلـدان** - إضـافة الـى **حضـارات فـارس والهنـد والصـين**). نقـول إذا مـا قـورن هـاذ التفكـر الاجتمـاعي اليونـاني، بتفكـر هـذه الحضـارات السـابقة عليـه، أمكننـا القـول: إن نمطـا جديـدا مـن التفكيـر الاجتمـاعي والسياسـي أرقـى نوعيا من سابقه قد رأى النور في اليونان.

ففـي هـذه الفتـرة بالـذات (أي، القـرنين السـابع والسـادس قبـل المـيلاد) نشـأت بـدايات التفكيـر العلمـي **المقصـود لذاتـه** (أي المتجـرد مـن المنفعـة العمليـة المباشـرة)، وطرحـت مسـائل نظريـة جديـدة غيـر معهـودة، تصـدى اليونـانيون اليهـا بحثـا عـن الاجابـة عنهـا باسـتخدام **وسـائل عقليـة وطـرق تفكيـر لـم تكـن معروفـة** قبـل ذلك، الا بصورة بدائية أولية (غالبا ما كانت اسطورية).

أمـا شـروط نمـو هـذا العلـم النظـري (العلـم الـذي صـار يسـمى فلسـفة) وازدهـاره، فيردهـا المختصـون بتلـك المرحلـة وبـذلك العلـم، إلـى خصوصـية **علاقـات الملكيـة** الناشـئة، القائمـة علـى أسـاس **نظـام العبوديـة**، الـذي تمكـن اليونـانيون مـن خلالـه مـن تطـوير قـوى الانتـاج وتنويعـه فـي مجـتمعهم، ومـن ثـم الـدفع بمجـتمعهم الـى الازدهـار **والرخـاء الاجتمـاعي** النسـبي فـي مـدنهم الاساسـية؛ وبشكل خاص **مدينة اثنا**.

فقـد ادى الانتقـال مـن نظـام الانتـاج البـدائي إلـى نظـام الانتـاج العبـودي إلـى **فصـل النشـاط العملـي عـن النشـاط الفكـري**، حيـث ظهـرت فئـات اجتماعيـة جديـدة، مكنهـا رخاؤهـا الاجتمـاعي، المتولـد عـن فـائض الانتـاج وتعاظمـه، مـن تـرك النشـاط العملـي والانصـراف إلـى النشـاط الفكـري (أي التأمـل فـي مسـائل الوجـود والحيـاة والانسـان، **و فـي الـنظم المثلـى لشـؤونه العامـة** وفي طرق البحث العلمي والتعليم...الخ)

لقـد أدى التطـور الاقتصـادي الكبيـر، والخـالي مـن الازمـات نسـبيا، (تجـارة، حرفـة، عمـل العبيـد المنـتج...الـخ)، **وتراجـع السـلطات التقليديـة** أمـام صـعود السـلط الجديـدة، الناتجـة عـن **ظهـور أشـكال سياسـية جديـدة**، موافقـة لهـذا التطـور الاقتصـادي، التجـاري والحرفـي منـه خصوصـا لقـد ادى كـل ذلـك إلـى تكـوين **نظـرة عقليـة الـى العـالم والانسـان**، تجلـت صـورتها بشـكل واضـح فـي مـا صـار يسـمى منـذ ذلـك الوقـت بالفلسـفة اليونانيـة، **المتحـررة مـن بقايـا النظـرة الاسـطورية للعـالم والانسـان والمجتمع.**

فلسفة عقلية متحررة، ارتقت تدريجيا من مستوى النظر الاختباري الحسي المباشر للاشياء، (أي المعرفة الحسية المباشرة للاشياء)، إلى مستوى **النظر العقلي المجرد للاشياء (أي المفاهيم والتصورات المجردة)ومحبة الحقيقة والحكمة لذاتهما.**

ومما هو جدير بالذكر هنا، ان هذه الفلسفة الناشئة في بلاد اليونان، قد اتجهت في البداية إلى دراسة الطبيعة. أما التفكير في العلاقات الاجتماعية فظل مشتتا غير منظم، لمدة ليست قصيرة، مقتصرا على مجال الاخلاق والسياسية العملية. الا أن هذه الفلسفة الطبيعة قد تميزت **بالثقة بالعقل والنظرة المتفائلة بالمستقبل.** الامر الذي جعلها تؤمن بقدرتها على تفسير كل شيء، بما فيها الانسان نفسه، بالسببية الطبيعة الخالصة، التي تستغني عن أشكال الوعي الاسطوري والديني السابق.

لكن هذه الروح العقلية، التي اتسمت بها هذه الفلسفة الجديدة، المؤمنة بالتقدم، ظلت مع ذلك تفتقد الى رؤية نظرية متمايزة ومعمقة عن الانسان والمجتمع. فقد بقت الافكار التي تدور على مسائل **العلاقات الاجتماعية وسياستها** غير منظمة، تراوح مكانها تقريبا كما كانت في البداية، قليلة ومشتته **وغير منفصلة تماما** عن التفكير الاسطوري والديني، حوالي قرنين من الزمن (القرنين السادس والخامس قبل الميلاد).

فما هي خصائص هذا التفكير الاجتماعي والسياسي المبكر في اليونان، وأين ظهر بالذات وكيف، وما هي حيثيات كل ذلك؟

ب - نشأة الفكر السياسي في اليونان القديمة

يطرح علينا الحديث عن نشأة الفكر السياسي في اليونان القديمة مجموعة من التساؤلات، تفرض نفسها على الباحث في تاريخ الفكر السياسي عموما، وعلى طالب العلوم

السياسية خصوصا، الذي هو بصدد بداية تكوينه في هذا العلم. واهم هذه التساؤلات هي:

آ – لماذا اتخذ الفكر السياسي الاغريقي (اليوناني) بالذات أساسا للفكر السياسي الحديث ؟

ب – هل يعني هذا الاختيار عدم وجود فكر سياسي سابق عليه؟

ج – وإذا سلمنا بوجود فكر سياسي شرقي سابق على هذا الفكر السياسي الاغريقي فلماذا لم نتخذه منطلقا للبحث في تاريخ الفكر السياسي عموما؟

يجمع معظم مؤرخي الفكر السياسي على اعتبار العصر الاغريقي بداية للتاريخ السياسي بصورة عامة، الا انهم لا ينفون وجود تراث سياسي سابق عليه، بل يؤكدون وجوده في مجتمعات الشرق القديم - وهذا امر طبيعي، فكل مجتمع انساني، توجد فيه ضمنيا، كما سبق واشرنا، افكار اجتماعية وسياسية مناسبة - فالشرق القديم كان يعمر بالفكر السياسي، الا أن ذلك لا يعني انه ترك لليونانيين بعده، نظريات سياسية متكاملة. فالفكر السياسي المتكامل في صيغة نظريات سياسية لم يظهر الا في اليونان، بدأ من القرن الخامس قبل الميلاد، كما سنرى لاحقا.

وترتبط هذه النشأة (نشأة الفكر السياسي في اليونان)، كما يؤكد معظم مؤرخي هذا الفكر، إضافة إلى ما سبق ذكره، بما صارت **تتميز به العقلية اليونانية من تحكم العقل** في الشأن السياسي العام. فبدلا من ان يظل اليونانيون في مجالات الدين كما ظل من سبقهم، وبدلا من ان يبقوا مسلمين بأوضاع هذه الدنيا على علاتها وينظروا اليها بعين الايمان، فانهم صاروا يتخذون لانفسهم موقف المفكر المتسائل بجرأة عما يدور